فقدان الجيش الإنكشاري لأهميته ومكانته

المؤسسة العسكرية البرية في الجزائر تعد من أهم المؤسسات التي لقيت اهتمام العثمانيين في الجزائر وعرفت تطورا كبيرا، قام الجيش الإنكشاري منذ البدايات الأولى من الحكم العثماني بدور عظيم حيث أظهر شجاعته في القتال وفي الدفاع عن الإيالة والمحافظة على الاستقرار والأمن الداخلي للجزائر من خلال حماية الجزائر من الأطماع الخارجية خاصة تلك الهجمات التي شنتها الدول الأوروبية كما ساهم في القضاء على التمردات والثورات الداخلية، وساهم في انعاش الخزينة من خلال عملية جمع الضرائب بالقوة العسكرية. لكن مع مرور الوقت تحول الجيش الإنكشاري من عنصر إصلاح ودفاع وبناء إلى عنصر فساد وفوضى واضطراب، فانحرف الجنود عن مهمتهم الأساسية وأصبحوا يولون اهتماما متزايدا للجانب المادي كما اهتموا بالسياسة فكثر تسلطهم على الناس وأصبحوا يتصرفون في أمور البلاد كما يحلوا لهم، فكان كلما حاول الداي المساس بمصالحهم وامتيازاتهم أو تأخر عن دفع مرتباتهم كان مصيره العزل أو الاغتيال. كما تورط الجيش في حياكة المؤامرات على الحكام والإحاطة بهم واغتيالهم، فكان الجيش يولي ويعزل من يشاء فانحرف عن مهامه الأصلي وكان سببا في انتشار الفوضى واللاستقرار في الجزائر. كما أصيب الجهاز العسكري بالخلل منذ أن أصبحت المناصب تعطى لغير مستحقيها من أصحاب الكفاءات.

أما بخصوص مسألة التجنيد فرغم أن إيالة الجزائر أولت اهتماما لهذه القضية إلا أنها لم تساهم في عملية بناء جيش نظامي قوي يعتمد عليه في الأزمات، بل ساهمت في تكوين فرق من المرتزقة همها الوحيد جمع الأموال، هذا بالإضافة إلى أن الكثير من الجنود قد قلّ اتصالهم بثكناتهم وأصبح الكثير منهم لا يذهب إليها إلا لقبض المرتب وأخذ أكثرهم يمتهن مهن مختلفة، وقد فر العديد من أفراد الجنود من ثكناتهم

إلى الخارج ووضح ذلك الفرمان الصادر عن السلطان محمود الثاني في أكتوبر 1826 إلى حاكم تونس حسين باي (1824–1835) يطلب منه منع الجنود الهاربين من إيالة الجزائر من الإقامة أو عبور أراضي تونس ويجب تسليمهم فورا إلى وكيل الجزائر بتونس المكلف بالتجنيد.

وقد تراجعت عملية التجنيد خلال العقد الثالث من القرن 19م ومن أسباب ذلك:

1- الحرب اليونانية العثمانية التي حولت البحر الأبيض المتوسط إلى ساحة قتال دائم بين اليونانيين والعثمانيين وقد انعكست آثار هذه الحرب على الاتصالات القائمة بين الجزائر والدولة العثمانية لاسيما مدينة أزمير التي كانت المصدر الرئيسي لتجنيد المتطوعين.

2- ساهمت الأمراض الفتاكة في تناقص عدد أفراد الجيش خاصة انتشار المجاعة والأوبئة بمدينة الجزائر وغيرها من مدن الإيالة أدى إلى هلاك عدد كبير من السكان على رأسهم أفراد الجند.

وبهذا نقول أن فرقة الإنكشارية قد لعبت دورا كبيرا وأساسيا في تاريخ الإيالة الجزائرية بعد أن كانت الركيزة الأساسية لنظام الحكم وأداة لحفظ الأمن والاستقرار لكنها شكلت في الفترات الأخيرة من عمر الإيالة أحد العوامل البارزة في تدهور الجهاز العسكري من خلال انتشار الفوضى والاضطراب خاصة الصراع بين فئة الإنكشارية وطائفة رياس البحر حول نظام الحكم.